ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

أشكال التنظيمات الاجتماعية بالمغرب القديم من خلال المصادر و المادية
(دراسة في الأصول و التطور)

الأستاذة بوشارب سلوى
جامعة 8 ماي 1945 قالمة

تعالج هذه الدراسة الإرهاصات الأولى لمختلف الأشكال والتنظيمات الاجتماعية في المغرب القديم أصولها و تطورها في الفترة القديمة التي تتأرجح بين المحلية والأجنبية من خلال الروايات التي أوردها المؤرخون القدامى في كتاباتهم و الفرضيات التي صاغها المؤرخون المحدثون انطلاقا من الأولى. و مقارنتها بالمعطيات الأنثروبولوجية والمخلفات الأثرية التي تركها إنسان تلك الفترة .

لذلك تتمحور الدراسة حول إشكاليتين رئيسيتين: الأولى تتمثل في هل تكفي تلك الروايات و الفرضيات و التي تكاد لا تجتمع على رأى معين للجزم بالأصول الأجنبية للمجتمع المغاربي بصفة عامة و المجتمع الجزائري على وجه الخصوص . في حين تتعلق الثانية بالتطور الذي عرفته تلك الأشكال و التنظيمات الاجتماعية الأولى وذلك من خلال التطرق إلى بعض جوانب الحياة القبلية فالقروية ثم المدنية(الحضارية) ،وكيف يمكن اعتبارها كدليل على الهوية المحلية المشتركة للمجتمعات المغاربية الحالية ؟.

1 ـ أصول التنظيمات الاجتماعية الأولى بالمغرب القديم بين رو ايات المؤرخين القدامى و فرضيات المحدثين و المعطيات الأنثروبولوجية : تتميز المصادر الكتابية المتعلقة بسكان المغرب القديم بالندرة و الاقتضاب،بل بالغموض في معظم الجوانب الخاصة بأصولهم على وجه التحديد ،حيث لاتكاد تجمع على مكان واحد قدموا منه. إلا أنها تتفق على الأقل بشأن الموقع الجغرافي[1].

[1] محمد البشير شنيتي : التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1984ص153.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

حيث يحدد الجغرافيون القدامى المغرب القديم أو بلاد البربر بالمنطقة الممتدة من الحدود المصرية الليبية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا والبحر المتوسط شمالا إلى امتداد الصحراء جنوبا[1]. ففي هذه المنطقة الجغرافية الواسعة تحدثت مجموعة من المؤرخين القدامى عن ظهور أولى أشكال التنظيمات الاجتماعية التي تطورت عبر الزمن لتشكل المجتمع المغاربي في صوره المختلفة طيلة الفترة القديمة. لكن الملفت للانتباه هو تساؤلهم الغريب من أين قدم قدماء المغرب القديم؟.

و قد لقي هذا التساؤل رواجا كبيرا في أوساط المؤرخين المحدثين خاصة رواد المدرسة الاستعمارية الفرنسية الذين بالغو في طرحه مما جعل المؤرخ محمد العربي عقون يعلق عليه بالقول " لم يترك مروجو هذا السؤال جهة من العالم إلا وافترضوا قدوم البربر منها "[2].وسنورد في ما يلي روايات بعض المؤرخين عن الأصول المختلفة للمجتمع المغاربي القديم التي تتراوح بين الأصول الأسطورية والشبه أسطورية والشرقية.

1 ـ 1 الأصول الأسطورية و الشبه الأسطورية : و من أشهر رواد هذا التيار المؤرخ الإغريقي الملقب بأبي التاريخ ، الذي أبدى اهتماما بجغرافية ليبيا التي اعتبرها ثالث قارات العالم القديم بعد آسيا و أوربا بقوله:" و الحق أن القارات الثلاثة ليبيا ،آسيا وأوربا تختلف عن بعضها أشد الاختلاف من حيث الحجم.[3]" و في نص آخر يقول:"يمتد ساحل ليبيا على البحر المتوسط من مصر حتى رأس صولوئيس ،و هو أقصى نقطة تسكنه مختلف القبائل الليبية إلا بعض أجزائه التي يسكنها الفينيقيين و الإغريق أما المنطقة

---

[1] و من أشهر الجغارفة الإغريق : سترابون الذي خلف لنا معلومات نادرة الأهمية حول الأرض و السكان ضمن كتابه السابع من مؤلفه الجغرافيا. ثم بطليموس الذى تعد خريطته عن شمال إفريقيا من أهم الأعمال النادرة في التاريخ القديم . أما الرومان فأشهرهم بلينوس القديم صاحب كتاب التاريخ الطبيعي الذي يحتوي هو الأخر عن معلومات قيمة متعلقة بطبيعة المنطقة و سكانها . ينظر علي فهمي خشيم : نصوص ليبية ،منشورات دار مكتبة الحياة ،ليبيا،1967 ص 111 ، محمد الهادي حارش : دراسات و نصوص في تاريخ الجزائر و بلدان المغرب في العصور القديمة ،دار هومة الجزائر ص 191ـ197 .

[2] محمد العربي عقون :الاقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ،الجزائر 2008 ص 157 .

[3] هيرودوت: تاريخ هيرودوت،تر عبد الإله الملاح،المجمع الثقافي أبوظبي الإمارات العربية المتحدة 2001 ص307.

جنوب الساحل فتحفل بالوحوش الضارية و إذا تجاوزها المرء كانت المنطقة الصحراوية.[1]"

إن الدارس لهذا النص يقف على ثلاث مجموعات بشرية ذكرها هيرودوت تتمثل الأولى في الليبيين و هم السكان الأوائل للمنطقة حتى لا أقول الأصليين لها لأنه في معرض حديثه عن القبائل الليبية تحدث عن قبيلة الماكسيز التي تسكن غرب نهر تريتون و هي من القبائل الأكثر تحضرا حسب رأيه بقوله:".... تسكن البيوت العادية يمارس أهلها الزراعة ... و يزعمون أنهم من نسل رجال جاؤوا من طروادة.[2]"

بينما يضيف في نص آخر له :" ....و لعلي أضيف فأقول في أمر هذا الصقع أنه مسكون من أربعة أقوام لا خامس لها .فالسكان الأصليون فيه هم الليبيون و الأثيوبيون .و الليبيون يسكنون البقاع الشمالية من البلاد بينما يسكن الأثيوبيون جنوبها.أما الوافدون فهم الفينيقيون والإغريق.[3]"

إن معلومات هيرودوت حول السكان الأوائل للمنطقة الليبية حسب النصوص السالفة الذكر تجمع على وجود أربعة مجموعات بشرية تتمثل في الليبيين و الأثيوبيين كعناصر محلية و الفينيقيين و الإغريق يمثلان العناصر الأجنبية. والتي يمكن حصرها في ما يسمى اليوم بمعلومات الأنماط أي تلك التي تتعلق بتصنيف فئات السكان حسب مواردهم الاقتصادية و أنماط معيشتهم.

حيث قسمهم إلى صنفين يتمثل الأول في البدو الرعاة و يسكنون المنطقة الممتدة من مصر حتى نهر تريتون ،و الثاني في الزراع المستقرون و يقطنون غرب النهر[4].

و من النص يمكن أن نستنتج أيضا أن هرودوت يقابل ليبيا الشرقية حيث يسكن الرحل و هي أرض منخفضة و رملية ،بليبيا الواقعة غرب تريتون وهي أرض جبلية تغطيها الغابات .و المقصود بالأرض الجبلية هي بلاد الأطلس حيث السلاسل الجبلية المعروفة ،أما تريتون فهو شط الجريد إلى خليج السرت الصغير (خليج قابس) ،الذي يمثل الحدود الطبيعية مابين نمطين من المعيشة و السكان أي ما بين البدو الرحل والمزارعين المستقرين.حيث لا تزال الشطوط إلى الآن عند الجغرافيين تمثل الحد

---

[1] هيرودوت:المرجع نفسه، ص 147.

[2] هيرودوت:المرجع نفسه، ص367.

[3] هيرودوت:المرجع نفسه، ص369.

[4] محمد البشير شنيتي : المرجع السابق، ص 155 .

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

الطبيعي لإفريقيا المتوسطية.و إذ لم تكن الصدفة هي التي جمعت بين وصف هيرودوت و الجغرافيين للمنطقة فإن الطبيعة في الحقيقة هي التي على الطرفين هذا التقسيم[1].

إن ما تتضمنه نصوص هرودوت من فجوات و مغالطات تاريخية لا يعني بأنها خالية من بعض الحقائق الأمر الذي جعلها المنطلق الأساسي لدى علماء الأنثروبولوجيا في دراساتهم حول الليبيين القدامى . حيث انطلق المهتمون بعلم خصائص الشعوب و الأجناس البشرية في شمال إفريقيا من نصوص هرودوت و أثبتوا صحة ما جاء فيها خاصة فيما يتعلق بأسماء بعض القبائل و مواطنها و عاداتها و تقاليدها [2].

لكن القسم الأكبر من معلوماته تراوحت بين الخرافة و الأسطورة.و لعل طرحه حول أصل بعض القبائل المنتمية إلى الجنس الليبي الأصيل في المنطقة حيث عاد بها إلى أصول أجنبية كقبيلة الماكسيز السالفة الذكر. و السؤال المطروح كيف تجمع هذه القبيلة بين الأصلين المحلي و الأجنبي في آن واحد؟.

يبدو أنه ما من تفسير منطقي لرأي هرودوت سوى أنه يحاول الربط بين شعوب البلاد الليبية و بعض سكان المناطق الإغريقية من خلال إرجاع أصول القبائل الأولى بالمنطقة إلى الأصل الطروادي شأنه في ذلك شأن المؤرخ سالوست ما سنتطرق في العنصر الموالي

2 ـ رو اية سالوس : أورد هذا المؤرخ في كتابه حرب يوغرطة رواية من سكان المغرب القديم جاء فيها" يتمثل السكان الأوائل لإفريقيا في الجيتول و الليبيين وهم عمالقة متوحشون يتغذون على لحوم الحيوانات الضارية أو على الأعشاب في شكل مجموعات لا يحكمهم عرف ولا قانون و لا زعيم ، يعيشون متجولين و مغامرين لا يتوقفون إلا عندما يداهمهم الليل.[3] "

يؤكد سالوست على ذكره هرودوت بشأن السكان الأوائل للمنطقة من حيث تسميتهم و حال معيشتهم ،إذ يجمع المؤرخان على إلحاق أقبح الصفات بهم بينما يختلف الأول مع الثاني بالنسبة للعناصر الوافدة إلى المنطقة حيث يشير في نص آخر له :" ....عبور كل من المديين و الأرمن و الفرس إلى إفريقيا بعد مقتل قائدهم هرقل في إسبانيا و هو رأي الأفارقة على الأقل حسبه ...اختلط الفرس بالجيتول تدريجيا عن طريق المصاهرة و كانوا يتنقلون كثيرا في محاولة منهم للعثور على بلد مناسب للعيش لذلك سموا أنفسهم

[1] محمد العربي عقون:المرجع السابق ،ص 187 .

[2] محمد البشير شنيتي : المرجع السابق، ص 155 .

[3] Salluste ;Guerre De Jugurtha ,éd Les belles lettres, Paris1974, XVIII ,p 152.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

نوماداس و هو الاسم الذي بقي إلى الآن . بينما انضم المديين و الأرمن إلى الليبيين لأنهم يقيمون قرب البحر الإفريقي و شيئا فشيئا حرف الليبيين اسم المديين ليأخذ في لغتهم البربرية صيغة مور.[1]" يقدم

سالوست بشأن أصل النوميد و المور رواية تبدوا أسطورية مما يدفعنا للتساؤل عن العلاقة بين الشعبين السابق الذكر و العناصر الوافدة ؟. الأمر الذي جعل المؤرخين المحدثين يوجهون لها انتقادات عديدة و يشككون في مدى صحتها .

على الرغم من ادعاء سالوست بأنه نقلها عن وثائق بونية تضمنتها كتابات الملك النوميدي هيمصال على رأسهم المؤرخان الجزائريان محمد الصغير غانم و محمد العربي عقون هذا الأخير الذي تساءل باستغراب شديد عن وجود علاقة تجمع الفرس و المديين بأعرق الاتحادات القبلية الليبية القديمة النوميد و المور الإشكال الذي لم يجد له تفسيرا لا في المصادر الأدبية الأحادية النظرة و لا حتى في الأدلة الأثرية المكتشفة لاحقا[2].

وعليه فإذا كنا نؤمن بوجود التأثيرات الحضارية الشرقية و الغربية في الحضارات المغاربية القديمة فهذا لا يعني بالضرورة ربط أصول سكان المنطقة بأولئك القادمين من مناطق مختلفة عبر مراحل تاريخية معينة .

لقد خلف لنا المؤرخ الفرنسي ستيفان غزال قائمة بما ورد في المصادر القديمة عن أصول سكان شمال إفريقيا جاء فيها :ـ تحدث الجغرافي الإغريقي سترابون عن الأصول الهندية للموريين الذين قدموا إلى ليبيا مع هرقل.

ـ في حين أشار فلافيوس يوسيفيوس إلى الأصول الشرقية للجيتول،حيث تحدث عن خروج العبرانيين من مصر إلى فلسطين انطلاقا من سفر التكوين. ذاكرا أن أحد أبناء كوش و هو إيلاس (Euilas) هو أب الايويلايون(Euilaioi) و هم الجيتول[3]. و أن إبراهيم (Ophren) استعمر ليبيا وأن أبناءه هم الذين أطلقوا اسم إفريقيا على الشمال الإفريقي و في رواية أخرى ذكر أن ابني إبراهيم أفراس و إفرا دخلا ليبيا مع هرقل و أطلقوا اسمهم على مدينة دافرى و كامل المنطقة إفريقيا[4].

---

[1] Salluste ; Ibid, XVIII ,p 153.

[2] محمد العربي عقون : المرجع السابق ،ص . محمد الصغير غانم : المرجع السابق ، ص187

[3] St Gsell ; Histoire Ancienne De L'Afrique Du Nord, TI éd, Otto Zeller Verdage Osnabrück, 1972.

[4] St Gsell ; Ibid , 338.

ـ كما أورد ديودور الصقلي الى مدينة ميشلا أو مسكيلا (Mescela) التي يحتمل أن تكون في شمال غرب تونس أو شمال شرق الجزائر،أثناء حديثه عن حملة أغاتوكليس.
و كذلك هيكاتوس الذي ذكر مدينة باسم كيبوس (Cybos) في ليبيا الخاصة بالفينيقيين أسسها الأيونيين بالقرب من إحدى الهيبونيتين (بنزرت أو عنابة) .

أما بلوتارك فقد ذهب إلى أن قسما من الليبيين و الموكنيين فقد تركهم هرقل في إقليم طنجة و معتمدا في ذلك على الملك يوبا. وقد وافقه الرأي بطليموس الذي ذكر رواية شبيهةبروايته[1].

1 ـ2 الأصول الشرقية (الكنعانية):من أبرز مؤرخي هذا التيار :

1 ـ 2 ـ1 رو اية القديس أغسطين :يذكر لنا القديس في إحدى رسائله إلى روما جاء فيها مايلي: " إذا سألتم أهل البادية من النوميديين عن أصلهم أجابوك نحن كنعانيون." متلفظيين بهذه العبارة محرفة عن أصلها بقلب الكاف شينا. و هذا النطق معروف في اللغتين الكنعانية و الليبية و حتى في بعض جهات البربر اليوم ، ويذكر القديس في موضع بأن هؤلاء النوميد يتحدثون البونية و لا يفهمون اللاتينية مما حتم على الوعاظ و المبشرين الاعتماد على المترجمين لنشر المسيحية بينهم [2].

الحقيقة أن النص يحتمل أكثر من قراءة لذا تعددت في نظرنا آراء المؤرخين حول استعمالهم له ،فقد جعل منه محمد البشير شنيتي نصا بالغ الأهمية للتدليل على الأصول الشرقية الكنعانية للنوميديين من خلال انتسابهم الصريح لهم و تمسكهم بلغة الأجداد رغم المحيط اللاتيني الذي يحاصرهم منذ أكثر من خمسة قرون . و دليل ذلك حسب رأيه أن القوم لم يدعو لأنفسهم نسبا لأمم كان مجدها قائما بينهم كالأمة الرومانية أواليونانية[3].

بينما يختلف معه في ذلك المؤرخ محمد العربي عقون الذي حمل النصوص القديمة مسؤولية الفكرة التقليدية القائلة بأن الشرق هو الموطن الأصلي للشعوب وأنه العنصر الشرقي هو الذي عمر شمال إفريقيا . و قد تحولت هذه الفكرة حسبه إلى كلام معاد و مألوف .و أن هذه العبارة الأغسطينية كانت محل نقاش كبير فهل كان سكان

---

[1] St Gsell ; Ibid , 344.

[2] محمد البشير شنيتي :أضواء على تاريخ الجزائر القديم بحوث و دراسات،دار الحكمة الجزائر 2003 ص150

.

[3] محمد البشير شنيتي : المرجع نفسه ،ص150 .

أرياف هيبون لا يزالون يتكلمون لهجة بونية بعد أكثر من خمسة قرون بعد سقوط قرطاج؟. و هو ما جعل البعض حسب رأيه يستنتج بأنها مثل كلمة عربي في أدبيات الاحتلال الفرنسي التي تعني كل سكان الشمال الإفريقي أي البربر[1].

كما يمكننا قراءة النص من زاوية أخرى كأن نقول بأن التأثير الكبير للحضارة القرطاجية و السلم الاجتماعي لذلك الشعب من جهة و وحشية الاستعمار الروماني الذي لم يترك لا الأرض و لا الشعب من جهة ثانية هو الذي دفع بسكان البادية للقول بأنهم كنعانيون أي بونيون ،تحديا صريحا منهم للاستعمار الروماني الذي لم يترك مجالا إلا وحاول قهر الشعب فيه من خلال سياسة الرومنة[2].

أما بالنسبة للأدلة اللغوية التي اعتمد عليها اللغويين في مقارباتهم بين اللغة الليبية و نظيرتها الفينيقية و جعل اللغة الليبية لغة سامية فهذا في اعتقادي ليس دليلا كافيا لجعل المجتمع المغاربي القديم ذو أصول شرقية بقدر ما هو دليل على التفاعل الحضاري القائم بين المنطقتين منذ أقدم العصور و هذا ما تكرسه الوحدة الجغرافية من خلال المعابر والحضارية الكبرى التي تربط المنطقتين.

1ـ2 ـ2 رو اية بروكوب :

كان بروكوب قد جاء إلى إفريقيا في القرن السادس (6 م) مع الحملة البيزنطية التي قادها بليزار و خليفته سولومون الذي قاد معارك في الجنوب الشرقي من قسنطينة أين تقع مدينة تيجسيسTigisis (عين البرج حاليا) التي يوجد بها نصبين من المرمر بالقرب من الينبوع يحملان كتابة منقوشة بحروف فينيقية مضمونها "نحن القوم الذي فروا من بطش يوشع بن نون."[3]

لقد نقل لنا المؤرخ محمد الهادي حارش نصا نقله عن بروكوب يشير فيه إلى الهجرة الجماعية للشعوب التي كانت تسكن الساحل السوري بعد فتح أرض الميعاد من طرف يوشع. و قد حاولوا الاستقرار في مصر لكن اكتظاظها بالسكان دفعهم للاتجاه غربا نحو ليبيا وتوسعوا فيها من حدود مصر إلى أعمدة هرقل، فأسسوا عددا من المدن التي مازال

[1] محمد العربي عقون : المرجع السابق ، ص 190.

[2] محمدالبشير شنيتي : أضواء على تاريخ الجزائر... ص 157 .

[3] St Gsell ; Op.cit. p 304.

سكانها يتكلمون اللغة الفينيقية . كما أسسوا أيضا حصنا في نوميديا حيث توجد الآن المدينة المسماة تيجسيس مكان وجود النصبين السالفين الذكر[1].

كما أورد لنا نفس المؤرخ نصا آخر تحدث فيه بروكوب عن علاقة الوافدين الجدد أي الفينيقيين بمن سبقهم من أجدادهم قائلا:"كانت تقطن إفريقيا قبل وصولهم شعوب كانت موجودة منذ عهود قديمة ،هم أبناء البلاد ،و من هنا أعطي اسم ابن الأرض لملكهم أنتيوس (Anté) الذي استعان به هرقل في الصراع ضد قليبية (Clipea). لاحقا الذين قدموا مع ديدون من فينيقيا جاؤوا لملاقاة سكان إفريقيا الذين تجمعهم بهم رابطة الدم .و بموفقتهم أسسوا قرطاجة و أقاموا فيها ...تنامت قوة قرطاجة و حاربت جيرانها الذين وصلوا الأوائل من فلسطين و يسمون الآن **الموريطانيين**. "[2]

يرى المؤرخ محمد البشير شنيتي أن الهجرات التي تحدث عنها بروكوب قد في ظروف قهرية موضوعية منها الضغط العبري على فلسطين بعد حادثة الخروج من مصر و ظهور حركة شعوب البحر،التي أحدثت تغيرات واضحة في الخريطة البشرية بآسيا الغربية ببلاد الشام على الخصوص ،و ما صاحبه من تطور في صناعة الأسلحة الحديدية ،و بناء السفن و ركوب البحر مما أدى بهم الى البحث عن مجال تعويضي في بلاد المغرب. و من جهة أخرى ليس مستبعدا أن تكون الروايات العربية عن أصول البربر قد نقل أصحابها عن المصادر المسيحية و اليهودية بعد أن أسلم الكثير منهم[3].

لكن في اعتقادي أن تلك الهجرات البشرية التي تحدث عنها بروكوب و القادمة من فلسطين عبر أزمنة مختلفة إلى بلاد المغرب التي حكم عليها بالفراغ مسبقا من دون دليل كاف ليجعل من القادمين السكان الأصليين وهم الموريطانيين حسبه ليس دليلا قويا لأن هؤلاء المور ينحدرون من سلالة محلية و المعطيات الأنثروبولوجية تبين ذلك.

1.2.3 الرو ايات العربية:

يبدوا أن ما جاءت به المصادر الإغريقية و الرومانية قد وجد صدى لدى النسابة العرب الذين قال عنهم المؤرخ محمد العربي عقون: "... أنهم مبتدعو أنساب وهمية في بلاد لم تعرف شيئا اسمه الحالة المدنية ، وأكبر أولائك المؤرخين بن خلدون الذي لم يسلم هو الآخر من هذه الطريقة التي اتبعها مؤرخو القرون الوسطى الذين كثيرا ما كانوا

[1] محمد الهادي حارش :المرجع السابق، ص 195 .

[2] نفسه،ص 196.

[3] محمد البشير شنيتي : أضواء على تاريخ الجزائر... ص ص 151 ،152 .

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

يبتدعون لأنفسهم شجرة نسب شرقية."[1]و سنورد فيما يأتي ثلاثة روايات لكل من البكري ، المسعودي ، بن الكلبي وبن خلدون.

ـ أبو عبيد البكري و المسعودي و بن الكلبي : اللذين كرروا رواية المؤرخ البيزنطي بروكوب حيث تحدثوا جميعا البربر القادمين من فلسطين بعد أن أجلاهم اليهود عنها كسكان أصليين للمغرب القديم .

ـ عبد الرحمان ابن خلدون: ذكر هو الآخر بأن البربر من نسل كنعان بن حام بن نوح عليه السلام. كما تحدث أيضا أصل كل من قبيلتي كتامة و صنهاجة اليمني، حيث ربطهما ببني حمير بن سبأ[2].

و في الأخير يمكننا أن نستنتج الأهمية الكبيرة للشعب المغاربي القديم و أرضه لدى الأمم الأخرى ، فقد حاولت كل مجموعة كما رأينا ربط أصله بها ليس حبا في المغاربة بقدر ما هو خدمة لمصالحها التي تقتضي نفي الأصالة عن هذا الشعب فوق أرضه. الأمر الذي شجع مجموعة من المؤرخين المحدثين على صياغة فرضيات عديدة أقل ما يقال عنها أنها غير موضوعية. في محاولة منهم لخلق مشكلة **الهوية** لدى سكان بلاد المغرب خاصة خلال الفترة الاستعمارية وحتى بعد الاستقلال.

2 ـ فرضيات المؤرخون المحدثون :

لقد حاولوا جاهدين تمرير فكرة حق الجميع في التواجد بهذا البلد انطلاقا من فرضية قائمة على أن جميع العناصر البشرية المشكلة للمجتمع المغاربي قد جاءت من أماكن مختلفة عن طريق الهجرة ،وعليه جعلها تفكر بأنها أجنبية فوق أرضها مما يسهل عملية اقتلاعها من جذورها . أو خلق حب انتمائها لعنصر بشري معين، و لما لا يكون العنصر المستعمر ذاته حتى يبرر وجوده بهذه الأرض التي يعتبرها أرض أجداده و أسلافه[3]. و بناء على ذلك يمكن تقسيم هذه الفرضيات إلى مجموعتين : فرضيات الأصول الشرقية الآسيوية و فرضيات الأصول الغربية الأوروبية .

1.2 فرضيات الأصول الشرقية : لقد اعتمد المستشرقون على ماورد في المصادر العربية لإصبات الأصول المشرقية للبربر.حيث ذكر لنا المؤرخ الفرنسي ستيفان قزال نقلا عن

---

[1] محمد العربي عقون: المرجع السابق ،ص ص190 ،191 .

[2] بن خلدون : كتاب العبر و ديوان المبتدأو الخبر في أيام العجم و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،مج 6 منشورات دار الكتاب اللبناني 1968 ،ص ص178، 179 .

[3] محمد العربي عقون : المرجع السابق ،ص191 .

موفر (Movers)الذي أيد روايتي كل من سالوست و بروكوب في عبور الكنعانيين الفارين من العبرانيين إلى إفريقيا في سفن الفينيقيين، حيث اختلطوا بالليبيين الأوليين(وهم أسلاف الفينيقيين) و احترفوا الزراعة ،و هم الذين عرفوا فيما بعد بالليبو. فينيقيين المذكورين في النصوص القديمة[1].

كما أشار وينكلار (Winckler) الى أن الهكسوس و هم من سوريا قد دخلوا إفريقيا و امتزجوا مع الليبيين .في حين ذهب كارل غيتي (Carl Ritter) إلى إثبات الأصل الهندي للبربر معتمدا على رواية سترابون التي جاء فيها اسم البربر قريب من اللفظ واروار (Warwara) الذي يطلق على سكان منطقة دكن (Dekhan) و هو مطابق لاسم مدينة باربرية القديمة الموجودة على الساحل الصومالي الذي يربط ببلاد اليمن و من ثمة إلى الهند. و يتطابق أيضا مع مصطلح البرابرة الذين يعيشون مابين الشلال الأول و الرابع للنيل[2].

بينما دافع برثولون(Bretholon) عن فرضية الأصل الإغريقية الإيجية من خلال حديثه عن العلاقات التي تجمع سكان الساحل الإفريقي و هم البربر بالشعوب القاطنة في الجزر و عل السواحل الإيجية منذ عصر البرونز خلال الفترة الممتدة من 200 ألف ـ 300 ألف سنة قبل الميلاد. و قد أحصى المؤرخ عددا من المفردات والأسماء البربرية التي يرى فيها الأصل الإغريقي السابق للعصر الهليني[3]. و قد أنجز أيضا عملا هاما بعنوان أبحاث أنثروبولوجية في البربرية الشرقية دعم فيه آراءه بأدلة أنثروبولوجية و إثنولوجية و من النتائج التي توصل إليها هي عودة الفخار البدائي في تونس الشرقية إلى عصر الدولمان و هو خاص بقبائل إغريقية إيجية . في حين عاد بنماذج من فخار جربة و نابل إلى قبرص. وقد علق عليه الباحث التونسي محمد حسين فنطر بقوله :"لقد بالغ الباحث في فرضيته لدرجة الهذيان[4]."

2 ـ 2 الأصول الغربية الأوروبية: يبدوا أن الأسلوب الذي اتبعه أصحاب الفرضيات الأولى و هو المقاربات اللغوية لم يكن كافيا للإجابة على الإشكال المطروح حول أصول سكان المغرب . لذا اتجه أصحاب المجموعة الثانية للبحث عن الأدلة الأثرية كدليل على الأصول الأوروبية لنفس السكان و قد انقسمت هذه الأحيرة الى ثلاثة فرق نادت الأولى

[1] St Gsell ; Op.cit. p 342 .

[2] St Gsell ; Ibid, p337.

[3] St Gsell ; Ibid, p347 .

[4] محمد العربي عقون : المرجع السابق ،ص194 .

منها بالأصول الغالية للمعالم الميغاليتية و نفس الشيء بالنسبة للسكان . بينما ذهبت الثانية للقول بالأصول الشمالية. في حين رأت الثالثة انتماءهم للأصول الإبيرية.

شهد القرن التاسع عشر(19 م) حركية مشهودة للبحث عن آثار ما قبل التاريخ من طرف باحثين و عسكريين و أطباء فرنسيين عن طريق القيام بالحفريات التي أجري عدد كبير منها في المقابر الميغاليتية بالشرق الجزائري و تونس الوسطى .نذكر منهم الباحث الفرنسي شاو(Shaw) الذي أشار الى مدافن بني مسوس بالجزائر العاصمة[1]. كما قدمها الجراح قيون على أنها مطابقة تماما للنصب الدرويدية التي شاهدها في سومور و جهات أخرى من فرنسا . مما جعل بعض الأثريين ينسبونها إلى الغاليين الذين كانوا في الفيالق الرومانية.

إن البحث عن مبرر للاستعمار الفرنسي للجزائر دفع بالكثير من الباحثين إلى البحث آثار مطابقة لتلك الموجودة في شمال إفريقيا (في الجزائر على وجه الخصوص) في كامل البلدان المطلة على البحر المتوسط.و يعتبر المستشرق فيرو (Féraud) من أبرز المروجين لهذه الفكرة حيث أكد على الأصول الغالو- رومانية للمقابر الميغاليتية الشمال الإفريقية[2].

لقد ازداد حماس الباحثين الفرنسيين بشأن إثبات الأصل السيلتي أي الفرنسي لدولمان الجزائر،أدى إلى ظهور فكرة أخرى مضمونها أن دولمان شمال إفريقيا تعود إلى فترة سابقة للسيلتيين و الغاليين. إذا فاستمرار هؤلاء في اعتبار الدولمن إنتاج حضاري أوروبي متفق عليه ،فإن لم يكن من فرنسا فقد يكون من شمال أوروبا. وهو رأي الفرقة الثانية المنادية بالأصول الشمالية ،و المبتدعة لفكرة شعب الدولمن الذي نزح على مراحل من آسيا إلى أوروبا الشمالية فالجزر البريطانية ثم بلاد الغال و منها إلى شمال إفريقيا معتمدين عل المعطيات الإثنولوجية.

حيث وجدوا في المميزات الفيزيولوجية سببا لادعائهم . وهو تميز أفراد بعض قبائل المناطق الداخلية الجبلية باللون الأشقر و العين الزرقاء، إضافة إلى أنهم يتحدثون إحدى لهجات اللغة البربرية ،و بالتالي فهم امتداد واضح لقدماء الشمال الإفريقي حسبهم[3].

[1] Shaw ; Voyages Dans Plusieurs Provinces De La Berbère 1843 P 150 .

[2]Camps, Monuments et Rites Funéraires Protohistoriques , pris 1968 , p 15.

[3] محمد العربي عقون : المرجع السابق، ص 195.

يبدو أن أصحاب هذه المجموعة قد عجزوا عن إقناع غيرهم من خلال الرأيين السابقين فاتجهوا لرأي ثالث يمثل الأصل الإيبيري . محاولين إثباته بشتى الوسائل الممكنة نذكر منها لجوءهم لمقاربة أسماء المناطق الجغرافية الموجودة على ضفتي البحر المتوسط حيث قدم الباحث دوزانج (Desanges) جردا لبعض الأسماء في لغة الباسك القريبة من البربرية التي منها كلمة (Ibères) وهي تصغير لباربار(ber_ ibéres)[1] .

و مع تعدد هذه الفرضيات و انتشارها فإن الإشكال الخاص بأصول سكان المغرب ظل قائما بين الباحثين المهتمين بهذا الموضوع بالرغم ظهور معطيات أنثروبولوجية جديدة ترجع بسلم الزمن إلى آلاف السنين و بالضبط إلى العصر الحجري القديم الأسفل حيث عثر على بقايا إنسان منها عظام الفك السفلي التي وجدت في رملية تغنيفين بالقرب من معسكر . وقد عرف بإنسان باليكاو نسبة للموقع الذي عثر على بقاياه فيه و هو ينتمي على الأرجح إلى الإنسان الموريتاني الأطلسي[2].

أما إذا انتقلنا إلى العصر الحجري القديم الأوسط فإن بقايا إنسان الحضارة العاترية التي عثر عليها بموقع هوافتيح بليبيا تحيط به بقايا الأدوات العاترية،مما دفع بعض الباحثين للقول بأن الموقع الليبي المشار إليه يمثل حلقة وصل بين شمال إفريقيا و آسيا الغربية لا سيما إذا أضيفت إليهما مواقع الواحات المصرية الواقعة غربي النيل . و الجدير الذكر أن أغلب الدراسات التي عالجت هذا الموضوع أشارت إلى أن الإنسان الذي صنع الحضارة الموستيرية بأوربا و العاترية بشمال إفريقيا هو إنسان نيوندرثال الذي تعود أصوله الباكرة إلى فلسطين[3]. و قد اكتشفت له مواقع أخرى منها موقع دار السلطان بالمغرب الأقصى و من هذا الإنسان العاتري يكون قد انحدر الإنسان المشتوي[4].

بينما تمثلت بقايا إنسان العصر الحجري القديم الأعلى في صانعي بقايا الحضارتين الابرومغربية و القفصية في شمال إفريقيا . و يميل أغلب الباحثين النثروبولوجيين الى القول بأن صانعي الحضارتين السابقتي الذكر هو الإنسان المشتوي (كرومانيون) التي توجد بقاياه في كل المنطقة الساحلية و التلية و هو معاصر للماغدالييني

[1] محمد العربي عقون: المرجع نفسه ،ص 196.

[2] L, Ballout, Préhistoire de l'Afrique du Nord, Paris 1955, p6.

[3] محمد الصغير غانم: مقالات و آراء في تاريخ الجزائر القديم ،دار الهدى،عين مليلة ،2005،ص48 .

[4] محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص 199 .

(Magdalénien)و الأزيلي (Azilien)الأوروبيين .و قد حاول الباحثون الأوربيون أن يجدوا لإنسان المشتى أصلا خارجيا أي أوروبيا كرومانيونيا للشبه الكبير بينهما و أنه دخل إفريقيا عبر مضيق جبل طارق بإسبانيا،بينما اعتقد آخرون بإنحداره من الإنسان العاقل الذي ظهر في فلسطين [1].

يبدوا واضحا أن الروايات الأسطورية للمؤرخين القدامى تلاحق الأبحاث العلمية لإثبات الأصل الأوروبي أو الشرقي لقدماء البربر. مما دفع المؤرخ محمد العربي عقون لتساؤل و البحث عن قواسم مشركة بين الإنسان الناطوفي (Natoufien proto méditerranéen) و المشتوي (Technoïde) ،و لو كان هذا الأخير من أصول ناطوفية فكيف لا يترك أثرا أنثروبولوجيا و لو قليلا هناك ؟ لتبقى في الأخير فرضية الأصل المحلي التي يؤيدا المنطق وراء تقبل بعض المختصين مثل فريمباخ (frembach) و شاملا (M. C.Chamla) فكرة وجود سلالة مباشرة مستمرة من نيوندرتاليين الشمال إفريقيين (إنسان جبل آرحود) إلى الكرومانيونيين و يكون الإنسان العاتري حلقة الوصل بينهما حسب رأيه[2].

أما الإنسان القفصي ذو الملامح المتوسطية فهو جنس لا تزال جماعات عديدة من شعوب البحر المتوسط تحمل ملامحه (متوسط القامة1,75م للرجال و 1,62م للنساء تناسق في أقسام الوجه ،أنف مستقيم كما توضح الصورة الموالية) [3]. و الذي يحمل المغاربة الحاليون خصائصه ، فبعض هؤلاء المتوسطيين يمتاز بالنحافة و البعض الآخر بالبنية القوية . و هذان النوعان لا يزالان ينتشران في كل جهات الشمال الإفريقي،يتوزع النوع الأول منه (النحيف)في المنطقة التلية الساحلية بينما ينتشر الثاني (القوي) بالمناطق الداخلية و الصحراوية و عند بدو البربر الرحل[4].

و في الأخير يمكننا أن نستنتج ما يلي: ـ إن الدارس لجغرافية بلاد المغرب القديم المتصلة بأكثر المناطق تحضرا في العالم القديم، قد سمحت بهجرة عدد كبير من الشعوب إليه. و ذلك عبر طرق كثيرة أهمها ممر سيناء، و طرق اليمن و الحبشة و مجازات البحر الأحمر بالنسبة للقادمين من الشرق برا و بحرا. و البحر المتوسط و أعمدة هرقل بالنسبة

[1] محمد العربي عقون: المرجع نفسه، ص ص 199 ، 200 .

[2] نفسه ،ص 200 .

[3] محمد الصغير غانم:المرجع السابق، ص 49.

[4] محمد العربي عقون :المرجع السابق،ص 200.

للقادمين من الشمال (أوروبا). فكانت حصيلة هذه الهجرات عبر أزمنة مختلفة تراكما بشريا صعب على المؤرخين القدامى وضع خريطة بشرية للمغرب القديم، فدخلوا في دوامة البحث عن أصول هذا الشعب.

ـ و حاول كل واحد منهم ربط أصله بأصلهم خدمة لمصالحهم الاستعمارية، لأنه لا يخفى على أحد أن معظم المصادر القديمة إغريقية و رومانية أي أجنبية، و بالتالي فكتاباتهم عن المنطقة جاءت في سياق حديثهم عن حروبهم فيها. بدء من هرودوت الذي تحدث عن حملة هيرقليس على مصر و منها إلى ليبيا . ثم سالوست الذي أشار إليهم هو الآخر في معرض حديثه عن حرب يوغرطة وغيرهما كثير .

ـ إذا تفهمنا حيرة المؤرخين القدامى الذين أبدعوا في نسج أساطيرهم المختلفة حول أصول سكان بلاد المغرب في غياب الأدلة الأثرية و عدم تحكمهم في قراءتها من جهة و سيطرت النزعة الاستعمارية التقليدية على أذهانهم البسيطة. فلا يمكننا إغفال مدى تعصب المؤرخين المحدثين الذين انطلقوا من تلك الروايات و حاولوا إثباتها بشتى الوسائل و الطرق الممكنة . لذا لم يتركوا الأدلة الأثرية تدل على نفسها بل جاءت قراءاتهم لها وفق ما تقتضيه مصالحهم الاستعمارية لدرجة أن الكثيرين منهم لم يكتفوا بصياغة فرضيات خيالية أو شبه خيالية حول أصول سكان المغرب ،بل حكموا عليهم بالوحشية و التخلف و العجز عن التطور إلا بتدخل أجنبي .و هذا ما سنحاول تفنيده من خلال التطرق إلى مختلف أشكال التنظيمات الاجتماعية و تطورها .

2 ـ أشكال التنظيمات الاجتماعية في بلاد المغرب القديم و تطورها:

المجتمع عبارة عن جماعة بشرية تشمل عددا غير محدود من الناس يعيشون في أرض محددة لفترة زمنية طويلة، فتنشأ بينهم روابط ثابتة تمثلها القرابة، التي تشير إلى تفاعلهم الاجتماعي بثلاث طرق: الأول ينجم عن تناسل الأسرة و تكاثرها و هو التجمع المتسلسل، في حين يعتبر الثاني ناتج عن اجتماع عدد من الأسر مع بعضها محافظة كل

منها على عاداتها و تقاليدها وهو التجمع المختلط. أما الثالث فيكون نتيجة اختلاط الأسر و امتزاجها عن طريق الزواج(المصاهرة) و التجمع المزجي[1].

إن نشأة الروابط الاجتماعية تكون من خلال تلك العادات و التقاليد التي تظهر من الاحتكاك اليومي بين البيئتين الطبيعية و الاجتماعية لذلك فإنها تختلف من منطقة إلى أخرى و من مجموعة بشرية إلى أخرى كل حسب خبرته و تجاربه ، ففي علاقة الإنسان ببيئته الاجتماعية أخذت تتشكل ملامح المجتمع المنظم الذي تتحدد فيه الواجبات من الأسرة إلى العائلة الواسعة[2].

إذا كانت عصور ما قبل التاريخ لا تمدنا كثيرا بالمعلومات عن طبيعة التجمعات البشرية ببلاد المغرب في ذلك الوقت الذي كان الناس فيه يعيشون في شكل جماعات صغيرة تتنقل من مكان إلى آخر لتوفر ما تحتاجه من غذاء سواء عن طريق الجمع و الالتقاط للنباتات أو صيد بعض الحيوانات. و لعل هذه الطريقة في العيش هي التي لا توفر لها فرصة التجمع بشكل أكبر. و هو ما تؤكده تلك الأدوات الحجرية المتشابهة الموجودة بمكان واحد[3].وعليه فإن تلك الجماعات البشرية الصورة البدائية و إن بدت أكثر ضبابية في عصور ما قبل التاريخ تمهيدا لظهور أولى أشكال التنظيمات الاجتماعية في الفترة القديمة و هي القبيلة.

2 ـ 1 القبيلة: وهي مجموعة الأسر المتحدة بوشائج القرابة، و هي أيضا كيان اجتماعي يقوم على القرابة و المصاهرة.و يمكن لهذا الكيان أن يأخذ طابعا اقتصاديا يكفل لأفراده المشاركة في مختلف النشاطات الاقتصادية.[4] فهي إذا أول صورة للنظام الاجتماعي الدائم الذي عرفته مختلف الشعوب القديمة بما فيها شعوب بلاد المغرب القديم.

إن دخول منطقة الشمال الإفريقي الفترة الشبيهة بالكتابية(فترة فجر التاريخ) كان مواكبا للتطور الاجتماعي، حيث عرفت تلك الجماعات البشرية تطورا ملحوظا من حيث

---

[1] مها محمود عيساوي: إشكالية المنهج و المصطلح في المدرسة التاريخية الجزائرية مصطلح المجتمع المغاربي القديم أنموذجا ،أشغال الندوة العلمية بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة 2011 ،مؤسسة كنوز الحكمة ،الجزائر2012 ص 81 .

[2] محمد العربي عقون: المرجع السابق،ص 167.

[3] ستيفان قزال: تاريخ إفريقيا الشمالية،ج5،تر محمد التازي السعودي،مطبعة المعارف الجديدة،الرباط2007ص29ـ30.

[4] محمد العربي عقون : المرجع السابق ،ص 168.

العدد و الروابط و النظم التي تجمع بينهم . مما أدى إلى ظهور أول شكل من تلك التنظيمات بالمنطقة و المتمثل في القبيلة.

و قد استمر هذا النظام فترات طويلة من الزمن حيث نجد في النصوص القديمة الإغريقية واللاتينية إشارات إلى عدد من المجموعات القبلية و ذلك بداية من القرن(5ق.م) ، إذ يعتبر كتاب التواريخ للمؤرخ هيرودت أول مصدر كتابي تحدث عن اللوبيين كوحدة عرقية بالرغم من تعدد عناصرها القبلية بخصوصياتهم المتمثلة في اختلاف طرق المعيشة والعادات و التقاليد. حيث خص بالذكر قبائل القسم الشرقي من ليبيا و هي كالأتي:

2 ـ1 ـ1 الناسمون:و هم من أكثر القبائل الليبية عددا، و جرت عاداتهم على ترك ماشيتهم في الصيف ترعى عند الساحل بينما هم يمضون غالى واحة أوجلا للعمل في جني التمور . و من عاداتهم أن يقيم الرجل عند زواجه حفلا يتعاقب فيه ضيوفه على عروسه و يقدمون لها الهدايا قبل أن يدخل هو بها[1].

2 ـ1ـ2 الجيليجامس: تزين نساء هذه القبيلة كواحلهن بعقد من الجلد، حيث تصنع كل واحدة منهن حلقة من الجلد عن كل رجل اتصلت به و تشتهر تلك التي تضع أكبر عدد من الحلقات بأنها خير نساء القبيلة لأنه أحبها أكبر عدد من الرجال[2].

و كلتا القبيلتين حسب هيرودوت تقطنان شرق بحيرة تريتون ، و هي من قبائل البدو الرحل الذين يتغذون على لحوم الحيوانات و الأعشاب.أما غرب هذه البحيرة فيقطن الصنف الثاني من القبائل الليبية المستقرة و نذكر منها:

2ـ1ـ3 الماكسيز:و هي من القبائل التي تسكن البيوت العادية و يمارس أبناؤها الزراعة. يطلقون شعورهم على الجانب الأيمن من الرأس و يحلقون الطرف الأيسر،و لهم صبغ أجسامهم و يزعمون أنهم من نسل رجال جاؤوا من طروادة[3].

2ـ1ـ4 الزاويس:و هم الذين تقود نساؤهم العربات إلى الحرب و بعدهم تأتي قبائل الجيزانت و بلادهم غنية بالعسل[4].و غيرها من القبائل المستقرة التي تختلف ليس عن الأولى في نمط معيشتها باتخاذها للبيوت مساكن تأوي إليها ،و اعتمادها على نفسها في

---

[1] هيرودوت: المصدر السابق، ص 361.

[2] المصدر نفسه،ص162.

[3] المصدر نفسه،ص167.

[4] المصدر نفسه، 168.

إنتاج ما تستعمل من طعام عن طريق الزراعة فحسب بل في عاداتها و تقاليدها التي تبدوا أكثر تحضرا من الأولى.

و بناء على ذلك يمكننا اعتبارها نواة لظهور الشكل الأول من أشكال التجمع السكاني في صورته المتطورة إذا مقارناه بالصورة البدائية السالفة الذكر.ألا و هو نموذج الحياة القروية البسيطة.

و الملاحظ من استنتاجات الأثريين أن السكان منذ القدم كانوا يختارون أماكن تمركزهم القروي في مواقع جد إستراتيجية تتوفر على جميع الظروف الملائمة للعيش الكريم. و هي الحصانة الطبيعية للموقع أي في المكان الذي يساعدهم على حماية ممتلكاتهم في حال تعرضهم للخطر، و كذا وفرة الماء أي بجوار الينابيع حتى يكون تزودهم بالماء أمرا يسيرا.و هي الشروط الأساسية في تخطيط القرى و المدن[1]. حيث يرى المؤرخ لويس ممفورد أن الحياة المستقرة في القرية تمتاز على مختلف أشكال الحياة في جماعات صغيرة مفككة الروابط بأنها كانت تهيأ أقصى الوسائل الملائمة للتكاثر، التغذية ، الوقايةو هو الذي جعل الحياة الحضرية أمرا ميسورا[2].

و قد ظل الشكل الأول للتنظيمات الاجتماعية ببلاد المغرب القديم أي القبيلة مستمرا فترات طويلة من الزمن عرفت خلالها القبائل المغاربية تطورات كبيرة في مختلف الجوانب الحياتية الاجتماعية الاقتصادية منها و السياسية لتظهر في شكلها الثاني و هو الكنفدراليات (الاتحادات)القبلية ابتداء من نهاية القرن الرابع و بداية القرن الثالث إلى غاية القرن الثاني.

2 ـ 2 الاتحادات القبلية:لقد وصلت بلاد المغرب القديم إلى هذا الشكل من التنظيم الاجتماعي على امتداد مراحل زمنية طويلة.حيث كان ذلك نتيجة تراكمات اجتماعية في السلم و الحرب ،علما أن تلك التراكمات من التجارب و الوقائع هي التي عززت روح التضامن بين أفراد القبيلة في بادئ الأمر ثم بين القبائل فتكونت الاتحادات القبلية كانتصار لإرادة الأغلبية المعبرة عن المصالح المشتركة .و قد عرفت بذلك بلاد المغرب القديم نقلة سياسية هامة مع ظهور هذا الشكل من التحالف، الذي تحولت فيه القبيلة إلى قوة سياسية انبثقت منها الدولة في شكلها الملكي على يد كنفدراليات قبائل كبرى كل

[1] محمد العربي عقون: المرجع السابق، ص 179.

[2] لويس ممفورد:المدينة على مر العصور أصلها و تطورها و مستقبلها ،ج1 ، تر إبراهيم نصحي ، مؤسسة فرانكلين للطباعة ، القاهرة ، 1964. ص20.

واحدة منها في حجم شعب أبرزها النوميد و المور. كما تحولت أيضا الزعامات القبلية إلى أسر ملكية هي التي تسلسل منها ملوك الممالك النوميدية و المورية .

1.2.2 النوميد في الشرق: لا ندري بالضبط متى انقسم النوميد إلى قسمين ماسيل في الشرق (المملكة النوميدية الشرقية و عاصمتها سيرتا) و ماسيسيل في الغرب (المملكة النوميدية الغربية و عاصمتها سيقا) ،لكن ظهورهم في خريطة المغرب السياسية كان على لسان مؤرخي القرن الثاني (2 ق.م)كشعب كبير ذو سيادة على أوسع رقعة ممتدة من حدود قرطاجة شرقا إلى نهر ملوشة غربا[1].

هذه القوة السياسية هي المملكة النوميدية الموحدة التي امتدت حدودها الشرقية في عهد ماسينيسا (203ـ148 ق.م)إلى السرت الكبير ،لكنها سرعان ما أخذت في التراجع بعد وفاة ابنه ميسبسا 118 ق.م في أعقاب الانقسام و الصراع على العرش الذي كانت لروما يد فيه حيث عملت على تقليص حدودها و ضم أجزائها الغربية إلى مملكة موريطانيا (موريزيا).ثم إنه ابتداء من سنة 40م كون الرومان من الإقليم الممتد من الوادي الكبير (Ampasaga) شرقا الى واد الملوية غربا ولاية موريطانيا القيصرية و أصبح سكان هذا الإقليم يدعون بالموريين في مصطلح الإدارة الرومانية[2].

و عن أصول النوميد و مدلول تسميتهم فإن خلو المصادر الإغريقية الباكرة منه قد جعله محل نقاش كبير من المؤرخين من خلال عديد المقاربات اللغوية . و إذا كان سترابون قد اعتبره مشتقا من الكلمة الإغريقية نوماداس (Nomadas)التي تعني البدو الرحل[3]، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يعتبر هذا اللفظ مشتق من نوماداس مع أن الذين يطلق عليهم هم مزارعون مستقرون؟.

يبدو سترابون لا يفرق بين مدلول عبارة نوماد و نوميد معتقدا أن التسمية نمطية أي أنهم تسموا بذلك لأنهم كانوا بدوا رعاة أرغمتهم الحيوانات الضارية على ترك الفلاحة و اتهان الرعي. باستثناء بوليب الذي استعمله للدلالة على كيان سياسي محدد و على شعب معين له خصائصه و نظمه.الظاهر أن بوليب قد استقى هذا المفهوم من الوثائق الرومانية الرسمية التي ظهر فيها مدلول عبارة نوميديا بهذا المعنى ابتداء من القرن الثالث الذي شهد حروبهم ضد القرطاجيين.

---

[1] محمد العربي عقون:المرجع السابق،ص 159.

[2] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية ...ص162.

[3] محمد العربي عقون:المرجع السابق،ص 158.

أما الوثائق الأثرية المتعلقة بأصول هذه التسمية و مدلولها فهي نادرة و مقتضبة ،و أقدمها ما جاء في النقوش المزدوجة اللغة (ليبية. بونية أو بونية . لاتينية) و التي توحي بالأصل المحلي لها .و النقوش اللاتينية غنية بأسماء الأشخاص المنتمين إلى هذا الشعب الذي حافظ أفراده على هويتهم النوميدية و يظهر ذلك في ألقابهم التي احتفظت بها النصوص الأثرية[1].

كما بقي اسم نوميديا يطلق على قبيلة بناحية تاقاست(Tagaste) سوق أهراس حاليا و على المدينة المركزية لها و هي تيبرسكو النوميدية (Tubursicu numidarum). و يذكر لاسير حوالي عشرون موقعا أثريا تضمنت نقوشها أسماء نومیدية[2]. و هذا ما يوضحه الشكل الموالي:

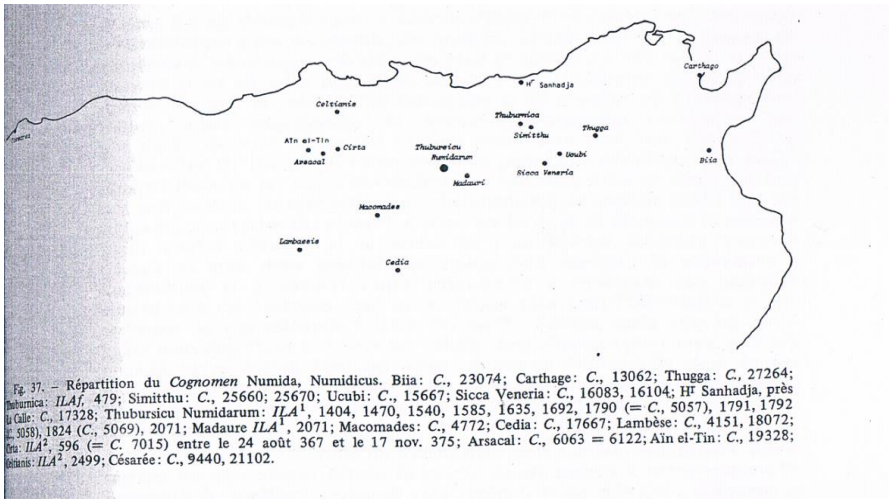

Fig. 37. – Répartition du *Cognomen* Numida, Numidicus. Biia: *C.*, 23074; Carthage: *C.*, 13062; Thugga: *C.*, 27264; Thuburnica: *ILAf*, 479; Simitthu: *C.*, 25660; 25670; Ucubi: *C.*, 15667; Sicca Veneria: *C.*, 16083, 16104; Hr Sanhadja, près la Calle: *C.*, 17328; Thubursicu Numidarum: *ILA*[1], 1404, 1470, 1540, 1585, 1635, 1692, 1790 (= *C.*, 5057), 1791, 1792 (= *C.*, 5058), 1824 (*C.*, 5069), 2071; Madaure *ILA*[1], 2071; Macomades: *C.*, 4772; Cedia: *C.*, 17667; Lambèse: *C.*, 4151, 18072; Cirta: *ILA*[2], 596 (= *C.* 7015) entre le 24 août 367 et le 17 nov. 375; Arsacal: *C.*, 6063 = 6122; Aïn el-Tin: *C.*, 19328; Celtianis: *ILA*[2], 2499; Césarée: *C.*, 9440, 21102.

يمثل الشكل أهم المواقع الأثرية التي تحتوي نقوشها على أسماء نوميدية.

و قد قلص الرومان المحتوى السياسي للشعب النوميدي و أزالوا عنه مفهوم الأمة المتميزة، ليحصروا مصطلح النوميد في اسم لقبيلة شهيرة.بينما احتفظوا به كتسمية للإقليم الجغرافي النوميدي الذي كونوا منه ولاية رومانية متغيرة الحدود هي موريطانيا القيصرية، ليصبح سكان هذا الإقليم يتسمون بالموريين في مصطلح الإدارة الرومانية.

[1] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص 164.

[2]Jean-Marie Lassère ; Peuplement et mouvements de population dans l'Afrique romaine, éd centre national de la recherche scientifique, paris,1977. P 359.

أما أشهر القبائل المكون لهذا الاتحاد القبلي هي الماسيل(Massyles)و الماسيسيل(Masaesyles)[1].

2.2.2 المور في الغرب: يبدو أن الجغرافيين الأغارقة القدامى هم أول من استعمل لفظ موريزيا للدلالة على الرقعة الجغرافية الأكثر بعدا بالنسبة لبلادهم من ليبيا ،أي المنطقة التي تقع في أقصى الغرب و على السكان معا[2]. فقد استعمله بوليب و أعطاه مفهوما سياسيا ، كذلك بالنسبة لديودور الصقلي الذي أشار الى ملك حكم موريزيا أوائل القرن الرابع قبل الميلاد.

كما تأثر المؤرخون اللاتينيون الأوائل بالتسمية الاغريقية و منهم تيتيوس ليفيوس الذي ورد عنده في شكل موريزي Maurusii و الذي حرف فيما بعد الى موري Mauri. و حسب سترابون فإن عبارة موري كانت مستعملة من طرف الأهالي و الرومان على حد السواء.في حين أرجعها سالوست إلى الأصل الميدي[3].بينما ذكر كل من بطليموس و بلينوس قبيلة تدعى موري وراء نهر الملوية و هي تمثل عصبية الملك الموري، مما دفع ببعض المؤرخين للقول بأنها كنفدرالية قبلية تشكلت انطلاقا منها المملكة المورية[4].

أما الرأي الذي يحظى بترجيح أكثر من غيره حسب المؤرخ محمد البشير شنيتي فهو رأي بوشار(Bouchard) على الرغم من أن الأخذ به يعني تغيير جوهري في أسماء المواقع التاريخية و بالتالي تغيير الخارطة السياسية للمغربالقديم. و الذي انطلق فيه من التقارب اللغوي بين الفينيقية و العربية ،و يكون بذلك لفظ مارو تحريف للفظ ماحوريم الذي يعني الغرب ، فموريزيا هي ماحوريت أي بلاد الغرب و تقابلها في الإغريقية هيسبيريا Hesperii التي تعني الجهة الغربية من العالم القديم أي منطقة غروب الشمس.و بناء عليه فإن سكان هذه الجهة قد تسموا بالموريزيين أي الموريين نسبة إلى الجهة الفلكية التي يتواجدون بها لاغير[5].

---

[1] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص ص 164،162.

[2] محمد العربي عقون:المرجع السابق،ص 159.

[3] و هم أقوام من آسيا الصغرى انتقل بعضهم حسب قوله في رحلة بحرية إلى ما وراء أعمدة هرقل و منها إلى إفريقيا ينظر :

Salustius; Guerre de Jugurtha ,tra Alfred Ernout , Les Belles Lettres, paris, 1974p XIX

[4] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص 158.

[5] نفسه ص 159.

بينما بالغ آخرون إلى درجة الهذيان حسب المؤرخ محمد العربي عقون مثل رين Rinn الذي حاول ايجاد علاقة بين موري و أور و التي تعني الجبل في اللغة الاغريقية و مقاربته مع اسمي المنطقتين الجبليتين في الأطلس الصحراوي عمورو أو أمورو و أوراس (M(aures) et(Amaur)[1].

و هذا ما تؤكده الاختلافات بين كتاب العهد الروماني حول تحديد مواقع و حدود السكان المدعوين بالمورين ، إذ أخذت هذه التسمية لديهم معنى عاما و ارتبطت بالمفهوم الإداري و السياسي أكثر من ارتباطها بالسكان أنفسهم . ومن ثمة خروج مفهوم هذا اللفظ من مدلوله الجغرافي إلى معناه الإداري المرتبط بالسكان الخاضعين للسلطة الرومانية في ولايتي موريطانيا[2]. و من أشهر القبائل التي كان لها دور هام في الكفاح ضد الاستعمار الروماني نجد قبائل الباوار و الباقواط.

إذا كانت الكنفدراليتان السالفتان الذكر(النوميد و المور) قد وصلتا إلى بناء اجتماعي و سياسي تحولت فيه القبيلة إلى قوة اجتماعية في شكل شعب و سياسية في شكل مملكة و اقتصادية بظهور مختلف الصناعات بالمدن و تطور العمران عن طريق تطور القرى إلى مدن و حواضر تغذيها مجموع الأرياف و القرى المحيطة بها. إلا أن بعض الكنفدراليات القبلية بقيت محافظة على تقاليدها القبلية بعدم اندماجها في المجتمعات الحضرية القريبة منها أو المحيطة بها اندماجا كليا و من أبرزها الجيتول.

3.2.2الجيتول:

ظهر اسم الجيتول منذ نهايةالقرن الثاني قبل الميلاد للدلالة على مجموعة قبلية كبيرة كثيرة العدد لكنها لا تمثل عرقا متميزا[3].لأنها قبائل متعددة الأصول جمعها إطار جغرافي متجانس نسبيا يتمثل في السهوب و المرتفعات الجنوبية و حواف الصحراء الشمالية. أي إقليم الانتقال الطبيعي بين التل و الصحراء المتميز بالاقتصاد الرعوي.و عليه اشتهر الجيتول عند المؤرخين القدامى بأنهم رعاة نموذجيين حيث شبههم سترابون بالعرب البدو ووصف خيولهم وأبقارهم بأنها كثيرة العدد[4]. في حين ذكرهم سالوست بأنهم قوما

---

[1] محمد العربي عقون:المرجع السابق،ص 159.

[2] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص 160.

[3] محمد العربي عقون: المرجع السابق،ص163.

[4] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص 165.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

محاربين أكثر من الأقوام الليبية الأخرى تقع مواطنهم شمال مواطن الإثيوبيين[1]. بينما تحدث بلين عن بعض قبائل الجيتول بولاية موريطانيا الطنجية بأنهم قوم كثيري الحركة يتحينون الفرص لاجتياح أراضي جيرانهم[2].أما تيت ليف فقد أشار اليهم كجند في جيش هانيبال .و مثله فعل القائد الروماني ماريوس الذي جند عددا كبيرا منهم[3].

الظاهر أن هذه المقتطفات من المصادر تشترك في تحديد مواطنهم مابين الاثيوبيين جنوبا و النوميد والجيتول شمالا كما يستنتج أيضا أن البعض منهم كانوا يجمعون بين تربية المواشي و الزراعة أي أنصاف البدو ولكن أغلبيتهم كانت من كبار البدو[4]. ثم إن ميلهم الشديد للتنقل للبحث عن المراعي لمواشيهم و كذا حبهم الكبير للحرب ـ فهم شعب محارب بامتياز ـ هو الذي جعلهم لا يقيمون دولة خاصة بهم. مع أن بعضهم كانوا ينتجعون الأقاليم المجاورة للمملكتين النوميدية و المورية. و هو ما دفع المؤرخين إلى تقسيمهم إلى قسمين الجيتول الشرقيين و الغربيين.

و قد ظلت أغلبية هذا الشعب خارج السيطرة الرومانية بل مصدر قلق دائم ،خاصة ضد المؤسسات الزراعية التي ألفوا المكوث بها .مثلما حدث مع قبيلة الموزولامي و هي إحدى القبائل الجيتولية النصف بدوية ،التي اقترن اسمها بمقاومة القائد تاكفاريناس(17ـ23 م) ضد التوسع الروماني بالمنطقة[5].

و في الأخير نستنتج مايلي: ـ إن التطور الذي شهدته مختلف أشكال التنظيمات الاجتماعية بالمغرب القديم يلخص لنا جوانب مختلفة من نمط الحياة الاجتماعية في صورها القبلية فالقروية ثم المدنية الحضارية. علما أن عملية الانتقال من صورة إلى أخرى يتم خلال مرحلة طويلة من التفاعل بين أفراد الجماعات البشرية فيما بينها عن طريق الروابط الأسرية فالقبلية ثم في صورتها الأكثر تطورا الشعب (المجتمع)و كذا تفاعلها مع بيئتها الطبيعية.

ـ أما بالنسبة لتوافد العناصر الأجنبية على المنطقة سواء عن طريق الهجرة أو الاستعمار قد ساهم في تطور الحياة الحضرية لدى شعوب المنطقة فاحتكاكهم بالقرطاجيين مثلا

---

[1]Salustius ; op.cit. p XVII .

[2] محمد البشير شنيتي: التغيرات الاقتصادية...ص 165.

[3] محمد العربي عقون: المرجع السابق،ص163.

[4] نفسه،ص164.

[5]Tacite ; Les Annales , éd Goelzer, 1953 , II52 , III20 , IV23 26 .

قد ساعد على ظهور الشكل الثاني من التنظيمات الاجتماعية ألا و هو تطور الكنفدراليات القبلية على الصعيد السياسي و تكوين الممالك النوميدية و المورية .ففي هذه الفترة بلغ التمدن الليبي درجة كبيرة من التطور حيث ظهرت العديد من المدن و من بينها المدن العواصم مثل سيرتا و دقة و سيقا ، لتصبح المجتمعات النوميدية و المورية تنافس أكثر المجتمعات تحضرا في العالم القديم.

ـ و في الفترة الرومانية تطورت الحياة الحضرية أكثر في إفريقيا و أخذت تتلون باللون الايطالي منذ أن حلت جموع المهاجرين الايطاليين بمعظم المدن المغاربية القديمة أواخر العهد الجمهوري و أثناء العهد الإمبراطوري الأول ،إذ كان من الطبيعي أن يعمل الوافدون على تنظيم حياتهم على الطراز الايطالي الذي ألفوه في روما. ثم ما لبثت الطبقة المتمدنة من الأهالي أن أخذت في تقليدهم لتعرف فيما بعد بالطبقة المترومنة.بينما حافظ سكان القرى والمناطق الجبلية البعيدة عن المدن على تقاليهم النوميدية برفضهم لمختلف التمدن الروماني لأنها ترى في العناصر الرومانية صورتها الاستعمارية الاستغلالية أكثر منها حضارية و نذكر منها قبائل الجيتول الرافضة للحضارة الرومانية بكل صورها.

و عليه يكون حضر المدن الإفريقية قد نالوا حق المواطنة الرومانية منذ وقت مبكر خاصة أولئك الذي لم يبادلوا الرومان العداء ، و منهم ستكون نواة المجتمع الحضري الإفريقي يضاف إليهم العنصر الروماني صاحب السيادة و بنسبة أقل العناصر الوافدة من مختلف المقاطعات الرومانية الأخرى للتجارة أو العمل في الوظائف المدنية و العسكرية.

لذا فإن تصنيف فئات السكان في الفترة الرومانية كان حسب أنشطتهم الاقتصادية و بيئتهم الاجتماعية و منزلتهم السياسية إلى أربعة أصناف هي الحضر،الريفيون،البدو،العبيد.

و في الأخير فإن تقسيم مختلف تلك التنظيمات إلى قبائل و مجموعات قبلية أي شعوب كان حسب نمط المعيشة إلى بدو رعاة متنقلون و حضر مزارعين مستقرين،أو حسب المعطيات الجغرافية جبليون سكان الجبال و ريفيون سكان القرى و حرفيون أصحب المدن .و إما حسب الأصول محليون و وافدون مهاجرون.ما هي في الحقيقة إلا صورا مختلفة للمجتمع المغاربي القديم عبر فترات تاريخية مختلفة تجمع كلها في النهاية عل التسلسل التاريخي للهوية الحضارية له.**لأن الهوية الثقافية هي اللحمة التاريخية و**

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

الروحية و الفكرية التي بين مختلف أفراده الذين حافظوا على تقاليدهم وعاداتهم المشتركة دون الانصهار التام في حضارة الو افد سواء المهاجر أو المستعمر.